قريش والأحلاف السياسية ما قبل الإسلام

الدكتور ناصر القريشي

ان التحالفات السياسية مبدأ من المباديء التي تحكم علاقات الدول الكبيرة والصغيرة ، وكان لابد من الاحلاف سابقاً ولاحقاً لتنظيم العلاقات الدولية ، وهي تدخل ضمن نظام الفكر السياسي العربي لما قبل الاسلام ، وكانت الاحلاف قائمة في الجزيرة العربية بين زعماء القبائل ، اذ مالت القبائل الصغيرة والضعيفة الى التحالف مع القبائل الكبيرة ذات القوة والنفوذ من اجل ضمان سلامتها والحفاظ على كيانها مستقلاً ، ، بعيداً عن الانصهار غير ان التحالفات التي وحدت في مكة وداخل قبيلة قريش تحديدا تميزت عن غيرها من الاحلاف بأنها جاءت لتحقيق التوازن السياسي والاقتصادي داخل القبيلة التي ينطوي تحتها اكثر من عشرة بطون معظمها تمييز بالثراء والقوة ، ويهدف الى تحقيق المصالحة الذاتية الخاصة وعلى حساب البطون الاخرى مما ادى اخر الامر الى حدوث تنافس شديد فيما بينها ، غير ان ذلك لم يصل الى حد اراقة الدماء ، سنحاول في هذه الدراسة المتواضعة تسليط الضوء على هذه التحالفات وما نجم عنها من تطورات واستقرار الاوضاع مكة السياسة والاقتصادية وبلورة ذلك ضمن سياق الفكر السياسي العربي حيث ان لحكومة الملا الدور الفعال في قيادة القبيلة والحفاظ على مصالحها العامة والخاصة وقد مثلت هذه الحكومات رؤساء بطون عشائر قريش كافة وتبعا لذلك نشأ في مكة وداخل قريش حلفات اسياسيان هما (الاحلاف ، المطيبون) اذ لكل طرف دوافق الذاتية الى الدخول مع الطرف الذي يراه ملائماً له ولمصالحة وسندرس عشائر كل حلف مستفيدين من كتب النسب والتاريخ وغيرها .

اولاً : الاوضاع السياسية والاقتصادية في مكة :

كانت مكة قد نمت وتطورت دق اصبحت مركزاً دينياً وتجارياً يعمل على خدمة حجاج بيت الله الحرام ، وتلبية حاجات حاجاتهم الاساسية بيد ان التجارة فيها كانت محصورة بمدودها الجغرافية ، حيث يأتيها التجار الروم والفرس والاحباش فغيرهم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعون بينهم ويبيعون بينهم عن مولهم من الاعراب [1] ولم يكن تجار قريش في مكة عند ذلك سوى وسطاء ، ولم يكونوا مستوردين ولامتعهدين للقوافل التجارية [2] . ويرجع سبب ذلك الى زعمار القبائل العربية الضاربة على طريق التجارة المؤدية الى مكة انذاك كانوا يمنعونهم من الخروج في طلب التجارة [3] ومن ثم لم تكن موارد تجارة مكة من التجارة عند ذلك كبيرة ، لان المخاطر التت كانت تحيط بتجارتهم كثيرة ، ومع ذلك كان عدد من تجار مكة يخرجون بتجارتهم سعياً وراء الربح الوفير ، غير انهم كانوا لايخرجون الا بحماية ، ويقول ابن عبد البرر فكانت قوافل التجارة مكة تخرج بقيادة الحارث بن مخلد بن النضر بن كنافة وكان هؤلاء (ادلاء لبني كنافة في تجارتهم) [4] وعلى الرغم من ذلك فان اهل مكة لم يبرزوا بوصفهم اغنياء واثرياء بسبب انشغالهم بالتجارة اذ دقعت محدودية القواقل الخارجية من مكة والمخاطر المحيطة بها الى عدم اثراء تجار مكة على نحو كبيرة . كما ان التجار الغرباء كانوا يفضلون استخدام الطريق الجري الذي يربط اليمن ببلاد الشام بعيداً عن مكة[5] ، مما جعلها مركزاً تجارياً متواضعاً يقدم خدماته شأنها شأن اية محطة تجارية على طريق القوافل الاتجارية المحرودة ان سيادة قصى على مكة ، عملت على جعل مرافقها السياسية والاقتصادية والمدنية جميعا بيده ، ولم يتم له ذلك الا بمؤازرة امنية لامه رزاح بن ربيعة ، الذي ساندة بقوة مكنته من ازاحة خزاعة عن الحياة السياسة في مكة ، وكان ذلك في منتصف القرن الخــامس الميلادي[6] وسانده كذلك جميع رؤساء العشائر القريشية من امثال مخزوم ، وسهم ، وجمع، وعميرة ، واهيب وكعب والحارث وقرطبة [7] خدمة لمصالحهم السياسية

---

[1] ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي ، المنمق في اخبار قريش ، تحقيق ، خورشيد احمد ط١ ، الهند ، ١٩١٤ ،ص٣٠-٣٣ .

[2] اسماعيل ، احسان ، بنو هاشم في عصر الرسالة (رسالة ماجستير، كلية الاداب ، جامعة الموصل) ،١٩٩١ ، ص٣٩ .

[3] ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى ، نشوة الطرب في تاريخ الجاهلية ، تحقيق نصرت عزت عبد الرحمن ، عمان ، ١٣٨٢هـ ص٣٢٩/١ .

[4] ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، د/ت ،ص٦٨ .

[5] الزبيدي ، ابو عبد الله المصعب بن عبد الله ، نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال ،ط٢ ، مصر ،١٩٧٦ ، ص١٣/١٢ .

[6] الملاح ، هاشم وعيد الواحد الرمضاني ، ثروت اهل مكة ، المؤرخ العربي ،العدد ١٦/٤٣ ،١٩٩٠م ،١٠١ .

[7] السمعاني ، ابو يعد عبد الكريم محمد ، الانساب ، تحقيق عبد الرحمن يحيى حيدر اباد ،الهند ،١٩٦٢ ،١٨/١ .

والاقتصادية بعد ان كانت خزاعة متعوذة عليها من دونهم . وقد قصى من هذا الموقف في توسيع سلطاته في مكة حتما جاوزت السلطة الى كان يمتع بها زعماء القبائل العربية في الجزيرة حتى غدا كأنه ملك على مكة [١]فكان امره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع لايعمل بغيره[٢] وقام بتنظيم الوظائف الدينية وقد ابقاها ف يد اصحابها القدماء فقسم الوظائف المدنية او السياسية سواء تلم المتصلة بخدمة الحرم وحجاجه او المتصلة بادارة المجتمع المكي وتنظيم علاقاته الداخلية والخارجية على خمس وظائف هي الرفادة والسقاية والحجابة واللواء ودار الندوة[٣] الذي كان يهدف من وراء انشائه الى ان يشاور رجال الملا[٤] من قومه فيه فيه في كل ماله صلة بأمورهم العامة ، وكان رجال الملا يجتمعون فيه ، كلما دعت الضرورة الى ذلك ، اذ كان لكل عشيرة ناديها الخاص[٥] وحاول قصي ان يجعل دار الندوة ذا منزلة اعلى من منزلة المنتديات العشائرية التي كانت موجودة في مكة بان جعل بابها قبالة باب المسجد الحرام لتصير قراراتها ذات قدسية خاصة عند اهل مكة [٦]وعنى قصي بالتجارة والعمل على خدمتها وتوسيع نشاطها والخروج بها من مكة ، الا ان هذا الامر لم يكن في وسعه تحقيق ، اذ حكمت العوامل السابق ذكرها ، ولم تكن قوافل قريش تخرج من مكة الا بواسطة بني عذرة الذين نشأ عندهم قصي ، وتحت حمايتهم لها ورعايتهم اياها . كما ان مصادرنا لاتقدم لنا نصوصا او روايات عن قيام قصي بنفسه بالسفر بقصد التجارة خارج مكة ، واستمر ابناؤه واحفاده على ما يبدو بوضعهم وسطاء تجاريين يعملون على خدمة التجارة داخل مكة ، وقد كان لمدة الصراع بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ووقوع اليمن تحت حكم الاحباش (حلفاء البيزنطيين) تارية وحكم الساسنيين تارة اخرى ، ان جعل اصحاب التجارة يفضلون نقل بضائعهم عبر طريق القوافل التي تمر بمكة لاند آمن [٧].

وقد استطاع تجار قريش ان يستفيدوا من هذا التحول في تحسين اوضاعهم الاقتصادية وتنمية ثرواتهم عن طريق التعامل مع اصحاب هذه القوافل والدخول بصفة تجار وسطاء لتصريف البضائع المجلوبة من بلاد الهند والحبشة ، او القادمة من بلاد الشام لبيعها في اسواق مكة لقاء شراء مجموعة من السلع العربية كالجلود

---

[١] الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، مصر ، د/ت ،ج٢ ،ص٤٥ .

[٢] الزبيري ، نسب قريش ،ص١٨-١٩-٢٩٩ .

[٣] ابن هشام ، ابو عمر محمد عبد الله الحمدي ، سيرة النبي ، تحقيق محمد يحيى الدين ،بيروت ،٣١١/٢ .

[٤] المصدر نفسه ١٢٥/١ .

[٥] المصدر نفسه ١٢٥/١ .

[٦] ابن حبيب ، المنمق ٢٢٤،٢٢٢٥ ، الملاح ، هاشم ، حكومة الملا ٣-٤ .

[٧] الملاح، هاشم ، حكومة الملا ،ص٣-٤ .

والتمور والحبوب وغيرها لبيعها للتجارة الاجانب وساعد ذلك على جمع ثروة مكنتهم من تحقيق طموحاتهم التجارية ، عندما خرجوا بتجاوزاتهم خارج مكة[1].

[1] النعيمي ، رياض ، بنو مخزوم ودررهم السياسي والحضاري ، رسالة الدكتوراه ،كلية الاداب ، جامعة الموصل ١٩٩٦ ،ص٧٠-٧٢ .

ثانياً : الاوضاع السياسية والاقتصادية في مكة بعد قصي

بعد وفاة قصي انتقلت الوظائف السياسية والمدنية في مكة الى ابنه الاكبر عبد الدار بموجب وصية كان قد اوصى بها اليه ، قبل وفاته[١] .

ومن المرجح ان عبد الدار كان اهلا لهذه المسؤولية على الرغم من فقره بدليل ان العشائر كافة لم تعارض ولايته ، ولم تنقل الاخبار اية رواية عن معارضة اخوته ، او احد من زعماء بطون قريش له[٢] .

يقول ابن اسحاق (ثم ان قصي بن كلوب ملك . فاقام امره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده) [٣] وعمل احفاد قصي وبنوه على خدمة التجارة وبقوا كما كان اجدادهم وسطاء تجاريين ، لايقومون على الخروج بتجاراتهم من مكة ، الا نادرا، خوفا على اموالهم وانفسهم من هجمات البدو المحيطين بالطرق التجارة شمالا وجنوبا .

لم تستمر احوال التجارة في مكة على هذه الاحوال ، فعند مجيء هاشم بن عبد مناف بن قثي الذي كان قد ورث عن ابيه خبرته في التجارة واالقيام على خدمتها ، حقق لقريش مالم تكن تصبوا اليه ابد الولاة ويبدوا ان شما (عمرو)[٤] كان على قدر كبير من الذاء بما مكنته من استغلال مواهبه وقدراته السياسية والتجارية لخدمة التجارة في مكة وجعلها دولية . ولتحقيق اهدافه تلك سافر الى بلاد الشام .

فأخذهم يطعم الطعام ويسقى الشراب لكل الناس ويحدثنا ابن حبيب عن ذلك بقوله) فنزل بقيصر فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو حوله فيأكلون فذكر لقيصر وقيل ههنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم فاعجب به ودعاه اليه[٥] (فلما راه وكلمه اعجب به وقال له اسال حاجتك)[٦].

(فقال له ايها الملك ان لي قوما وهم تجار العرب فان رات ان تكتب لهم كتابا تؤمنهم وتؤمن تجاراتهم فيقصوا عليك بما يستظرفلا من ادم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو ارخص عليكم [٧] وكانت موافقة القيصر على هذه المبادرة رحبة فكتب له كتابا بذلك وهي فرصة لقيصر ودولته اذ تأتيه تجارة الشرق من دون ابة تبعات عسكرية او مالية هو في غنى عنها .

وكان لنجاح هاشم في الحصول على امان من قيصر الروم بحرية التجارة في بلاده ، ان اعد اهل مكة ذلك تطوراً كبيراً في حياتهم السياسية والاقتصادية ، ولكن يشهر هاشم ما حققته مع حكم بلاد الشام ولتحقيق امان الطريق شجع شيوخ القبائل العربية

---

[١] العلي ، صالح محمد ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ط١ ، دار النشر ، ١٩٩١ ، ١١/١ .

[٢] الملاح ، هاشم ثروات مكة ، ١٠١-١٠٢.

[٣] النعيمي ، رياض ، منو مخزوم ودرهم ،ص٢٩-٣٠ .

[٤] ابن هشام ، مسيرة النبي ،١٢٥/١-١٣٠ .

[٥] ابن سعد ، ابو عبيد الله محمد بن منيع ، الطبقات الكبرى ، بيروت ، ٧٢/١-٧٣ .

[٦] ابن هشام ، سيرة النبي ، ١٢٥/١ ، ابن سعد ، الطبقات ٧٢/١ .

[٧] المصدر نفسه ، ابن هشام سيرة النبي ١٢٥/١-١٣٠ وابن سعد الطبقات ٧٣/٧٢/١ .

وزعماءها ممن تسهر قوافلها التجارية بديارهم على توظيف احوالهم في هذه القوافل كلما تكون لهم مصلحة فعلية في حمايتها يقول ابن حبيب
(فجعل وهاشم) كلما مر بحي من العرب بطريق الشام اخذ من اشرلفهم ايلافا وهو الامان عندهم في ارضهم بغير حلف ، واما هو امان الناس وعلى ان قريشا تحمل لهم بضائع فيكقونهم حملان ما من مكة الى الشام[١] .
وقد دعيت هذه الاتفاقات التجارية بـ (ايلاف)[٢] وليحقق هاشم جميع اهدافه في جعل مكة محطة تجارية ارسل اخاه عبد شمس لاخذ العصم من حاجب الحبشة واصبح اليها متجره ، وارسل المطلب لاخذ الصم والعهود من ملوك اليمن وارسل نوفل الى ملوك العراق وفارس [٣] وقد صمنت هذه الاحلاف لاهل مكة الامن والسلام ولتجاراتهم الحماية والامان وسن هاشم لاول مرة الاحلتين الى الشام في الصيف والى اليمن في الشتاء .
ان الظرف الانف ذكرها قد دفعت معظم اهل مكة من قريش الى الاشتغال التجارة فمن لم يكن تاجراً لم يكن عنده شيء وذلك لان التجارة كما ور تمثل تسعة اعشار الرزق للكاسبيين [٤] ويحدثنا الواقدي من اسهام اهل مكة في القوافل التجارية من مكة مكة بقوله (لم يبقا بمكة فريشي و لا قريشية له مثقال فصاعدا الا بحث به في العير حتى ان المراة لتبعث بالشيء التافه).
واصبح اهل مكة تبعا لذلك اصحاب رؤوس اموال كثيرة نظراً لتعاملهم بالعملات البيزنطية والساسانية والدينية في شتى المبادلات التجارية والقروض والصيرفة وغير ذلك .
ولما كان بنو هاشم والمطلب رواد هذه التجارة والمحتوذين عليها تركت الاموال في ايدي قسم منهم ليدفعهم ذلك الى ما اشار اليه ابن حبيب بقوله (ولما عظم شأن بني عبد مناف بن قصي ، فقالوا نحن اولى بما يتولاه بنو عبد الدار منهم)[٥]وان عدد من زعماء بطون قريش وجد في سيطرة بني هاشم والمطلب على اخذ الوظائف جميعا من احفاد بني عبد الدار الاثر الكبير في انقسام عشائر قريش على نفسها فئتين ، كل فئة تدقعها مصالحها للوقوف ضد الفئة الثانية وهكذا ومن المفيد ان نشير الى العشائر المنتمية الى كل فئة من هاتين الفئتين فمن حلفاء الاحلاف عشائر (بنو عبد الدار ، بني مخزوم (بنو عدي بن كعب ،بنو سهم ، بنو حجيج) ومن حلفاء المطيبين عشائر (بنو هاشم ، بنو الفهر ،بن الحارث ، بنو أسد ، بن عب العزى ، بنو زهره ، بنو يتم) ، ويبدو ان حلفي والمطيبين والاحلاف كانا في نهاية القرن السادس الميلادي ، لان عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وهو من الطبقة الخامسة الذي

---

[١] ابن حبيب ، المنمق ص٣٣-٣٤ .
[٢] المصدر نفسه ، ٣٣-٣٤ .
[٣] المصدر نفسه ، ٣٣-٣٤ .
[٤] المصدر نفسه ،٣٣-٣٤ .
[٥] ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٣-٣٤ .

حكم عنه ابن الاثير (كان رأس قومه حينها) [١] ويقول ابن اسحاق . (كان عبد شمس بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي على رأس قومه)[٢] .
والسؤال الذي يتبادر الى الذهن لماذا هذا الانقسام في عشائر قريش ؟

١. ان الاستقرار السياسي في مكة قد تعرض لامتحان كبير بعد نجاح ابناء عبد مناف ، وهم كل من هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب في مطلع القرن السادس الميلادي في تنظيم تجارة مكة الخارجية عن طريق عقد (الايلاف) مع الدول المجاورة ، والقبائل العربية التي تقيم على طريق التجارة الدولية ، وترتب على نجاحه واستقراره ان توسعت تجارة القوافل التي يقودها ابناء عبد مناف الى تومي قيادة القبيلة من خلال العمل وزيادة ثرواتهم ونفوذهم على حساب سلطة بني عبد الدار ونفوذهم الذين كانوا يحكمون بزمام (حكومة الملا) في مكة [٣] ومن ثم كان من الطبيعي ان يتطلع بنو عبد مناف قيادة القبيلة من خلال العمل على انتزاعها من بني عبد الدار[٤] لاعتقادهم بشرفهم عليهم وفضلهم في قومه[٥].
٢. احفاد بني عبد مناف كانوا ذوي عصبية قوية جداً ، اذ كان لعبد مناف خمسة من الابناء ، عدد كبير من الاصغار [٦] فضلا عن انحياز ابناء عبد العزى اليهم وعددهم ثلاثة عشر اولاد ، في الوقت الذي لم يكن لعبد الدار سوى ثلاثة اولاد وعدد قليل من الاصغار . كما ان بني عبد الدار لم يكونوا يهلكون من الثروة مايمكنهم من منافسة ابناء عمومتهم والدفاع عن مصالحهم [٧] .
٣. ان استحواذ بني عبد مناف على التجارة الخارجية ودخول البطون الاخرى من قريش معهم على نحو ثانوي ، دفعهم الى الامتعاض من هذه السياسة ، مثل عشائر ، بن مخزوم ، وبني نوفل ، وبني عدي ابن كعب وبني عبد شمس ، وغيرهم ، فكانوا يتحينون الفرص للاستيلاء على التجارة الخارجية وانتزاعها من ايدي بني عبد مناف فلما حصل النزاع على الوظائف ابين احفاد بني عبد الدار واحفاد بني عبد مناف ، وجد معظم رؤساء العشائر القريشيه ان الانحياز الى أي جانب ، سوف يخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية مستقبلا فنشأ عن ذلك حلفا لعفة الدم والمطيبين .
٤. ان بني مخزوم وعدي بن كعب وسهم وجمع بانحياز هم الى احفاد بني عبد الدار كانوا يهدفون الى الحصول على نوع من المشاركة في الاشراف على وظائف مكة السياسية او المدنية ليزدادوا بذلك شرفا على شرفهم ، لان التأثير

---

[١] ابن الاثير ، محمد بن عبد الكريم ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٠ ،١/٤٥٤-٤٥٥.
[٢] المصدر نفسه ، ص١٥٤ .
[٣] ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد ، العقد الفريد ، تحقيق احمد امين ، القاهرة ،١٩٦٥ ، ٣/٣٧-٣١٦ .
[٤] ابن هشام : سيرة النبي ١/١٣٠ ، ابن سعد ، الطبقات ١/٧٣ .
[٥] المصادر نفسها ..
[٦] المسعودي : ابو الحسن علي ، مروج الذهب ، معادن الجوهر ، تحقيق يوسف اسعد ، ط١ بيروت ٢/٢٧٦ .
[٧] علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الاسلام ،بغداد ،١٩٦١م ٤/٣٣ .

الحقيقي في سياسة حكومة الملا ، اخذ بشكل بمرور الزمن الى لدى التجار واصحاب الثروات الكبيرة ، وكذلك كان في انحياز بني أسد بن عبد العزى ويتم وزهرة والقهرين حارث الى جانب احفاد بني عبد مناف (هاشم والمطلب) لتحقيق الاهداف بعينها .

٥. لقد نشأ عن التحام كل من الطرفين بين انظموا اليه ست عشائر قريش ، وبعد ان تحشد الطرفان ، كانوا يقتتلان وعينت كل قبيلة لقبيلة ، فعينت مخزوم لتيم وجمع لزهرة وعدي بن كعب للحارث من فهر ، عبد الدار لاسد[١].

ويأتي هنا دور حكومة الملا في معالجة هذه الانشقاق الذي حصل بسبب اختلاف المصالح ، بين الفرقاء ، وعلى الرغم من ان رؤساء هم الذين يمتلكون حكومة الملا ، فان مصالح قبيلة قريش كانت فوق مصالح عشائرهم ، ولما احسوا بان اراقة الدماء والقتل سيؤدي وبلا شك الى ضياع مكانتهم بين القبائل العربية ، كما ان وقع الامر دفع جميع الاطراف الى التعقل والحكمة ، لاسيما بعد ان ادركوا بان كلتا الفئتين متقاربتان في قوتهما ، وهذا يناقض تماما ما يقال من قلة عدلا بني هاشم والمطلب ، فلو كانوا قلة لما نضوى تحت لوائهم عدد من العشائر يقارب ما انضوى تحت لواء احفاد بني عبد الدار مما دفع باحفاد بني عبد الدار وهم اصحاب الحق فيما يقاتلون من اجله الى التخلي عن مجموعة من الوظائف لاحفاد بني عبد مناف فالقوة والخوف من الدخول في حرب داخلية واراقة الدماء في حرب لايعرف نتائجها الى الصلح وتسوية الخلاف .

علما ان يتنازل كل طرف عن جانب من مطالبه في مقابل المحافظة على وحدة القبيلة وحقن دمار ابنائها ، فاتفقوا على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والشددة لبني عبد الدار[٢] فبموجب هذا الاتفاق حصل احفاد بنيعبد مناف على الوظائف ذوات القيمة والتأثير الاقتصادي ، وفي حسين بقيت الوظائف ذات القيمة السياسية والمدنية بيد احفاد بني عبد الدار[٣] ومن اجل اجل اراء جميع الاطراف عمد رجال حكومة الملأ ولاعتبارات الشرف والمكانة لعدد من العشائر في هذين الحلقتين الى استراث عدد جديد من الوظائف الشرفية في مكة من اجل توزيعها على رؤساء هذه البطون جميعاً ، وعليه اصبح عدد الوظائف الجديدة نحو احدى وعشرين وظيفة ، يقول ابن عبد ربه ان من انتهى اليه الشرف في قريش في الجاهلية موصلة بالاسلام عشرة رهط من عشرة بطون ، هاشم ، وامية ، وعبد الدار واسد وتيم ومخزوم وعدى وجمع وسهم[٤] .

.

فكان الطبيعي ان تبادر هذه العشائر والمطيبين الى العمل على اعادة التوازن الى اوضاع مكة السياسية والاقتصادية ، وكانت تتحين الفرص ، وتبحث عن مناسبة للنفاذ منها لاعادة ذلك التوازن الى اوضاع مكة ، وجاءت الفرصة من سوء

---

[١] علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٣٣/٤ .

[٢] النعيمي ، رياض ، بنو مخزوم ودورهم ص٦٠-٦٥ .

[٣] النعيمي ، رياض ، بنو مخزوم ، ودورهم ص٦٠-٦٥ .

[٤] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣١٤/٣ .

تصرف احد رجال والاحلاف ، عندما امتنع العاص بن وائل السهمي[١] وهو من عظماء سهم عن دفع ثمن بضاعة اتباعها من رجل زبيدي من اليمن فعمدوا الى تأسيس حلف جديد هدفه المعلن الدفاع عن حقوق المظلومين من تجار مكة ، وخاصة بعد ان رفض والاحلاف مساعدته مما دفع الزبيد بن عبد المطلب الى القول وما لهذا للنترك فاجتمعت بنو هاشم وعبد المطلب وبنو زهرة ،وبنو تيم الحرث بن فهد[٢] في دار عبد الله بن جرعان[٣] ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاضرا في التحالف وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقد قال رسول الله (ﷺ) عنه لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، احب الخالي به حمد النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت واعلن التحالف الجديد في نهاية القرن السادس الميلادي وبعد حرب الفجار[٤] .

اذن فالهدف المعلن لهذا التحالف الجديد هو الا يظلم احد بمكة بعد اليوم ، والا يجد المخالفون احد مظلوما ، الا نصروه على من ظلمه واخذوا له بحقه منه[٥] غير ان حقيقة الامر ، ان دوافع هذا التحالف لم تكن مقصورة على هنا هدف المثالي (المعلن) وانما كانت له اهداف سياسية واقتصادية [٦] تسعى الى تحقيق نوع من التوازن السياسي الذي عقده حلف (المطيبين) تجاه (الاحلاف) الذين احتكروا تجارة اليمن .

ان القوة الاحلاف وتماسكهم ووحدة هدفهم تجاه عشاءر المطيبين حال دون امكان التحالف الجديد في تحقيق اهدافه المعلنة وغير المعلنة ، فهم لم يقودا على تحقيق ما عقد من اجله ، فلم تكن الكلفة لصالح بني هاشم والمطلب ، بل ان عددا من عشائر الاحلاف لبني مخزوم مثلا اصبح لهم دورهم الفعال والريادي في سياسة حكومة الملا في مكة وخارجها ، فالسياسة والتجارة وعقيدة الشرك والوثنية اصبح ارتباطها جدلياً ، واصبحت العشائر والاحلاف تقاتل من اجل ديمومة هذا الارتباط ضد أي محاولة لفك عى هذا الارتباط سواء داخله ام خارجية وهكذا كان الفكر السياسي والاقتصادي قد تبلور من خلال الاحلاف والارتباطات بين العشائر ، ونلاحظ ان الفكر العربي السياسي لم يكن بمعزل عما يدور حوله فقد بذل رؤساء العشائر العربية ماقبل الاسلام جهرهم في تطوير سياستهم الخارجية والداخلية وتبني الاحلاف مما يدل على التقدم الفكري والسياسي العربي في ذلك الوقت وان محاولات عديدة يجمع القبائل العربية قد نجحت بعضها في جمعهم وان كانت المصالح تتقدم هذه الاحلاف والارتباطات حيث هدفها الاول هو المنفعة الاقتصادية وثانيا تجنبت المشاحنات والصراع القبلي الذي لا طائل من وراءه .

---

[١] المصدر نفسه ٣١٤/٣ .
[٢] علي : جواد ، تاريخ ، العرب قبل الاسلام ،٣٣/٤ .
[٣] المصدر نفسه .
[٤] المصدر نفسه ، النعيمي : رياض ، بن مخزوم ودورهم ص٦٠-٦٥ .
[٥] العلي ، طالع ، محاضرات ٣١٢ .
[٦] المصدر نفسه ٣١٢ .

الخاتمة

مما سبقا عرضه في هذه الدراسة المتواضعة نسجل بعض النتائج المهمة في تاريخ الفكر العربي ما قبل الاسلام وهما :-

١. كان من نتائج نجاح (الايلاف) تحول عموم اهل مكة بعشائرهم كافة الى تجار ، ومكنهم ذلك من جمع ثروة كبيرة .
٢. ادت الزيادة الكبيرة في رؤوس الاموال وبأيدي قسم من رؤوساء العشائر في قريش الى محاولة منافسته بني عبد الدار في الاشراف على وظائف في مكة لاسيما تلك التي تتعلق بالسقاية والرفادة .
٣. كان من نتيجة الصراع على شرف هذه الوظائف ان انقسمت العشائر قريش الى فئتين كل فئة انقسمت الى مجموعة من العشائر بحسب مصالحهم غير ان رجال الملا اخذوا بالحكمة والتعقل لا الحرب .
٤. استمرت الحياة في مكة قائمة على حلفى لعفة الدم والمطيبين ، غير ان عشائر الاحلاف نجحت في تحجيم عشائر المطيبين هؤلاء الى تكوين حلف جديد .
٥. جاهدت عشائر الاحلاف في الدفاع عن مصالحهم الجديدة التي حظيت بها بعد ذلك الانقسام وعلى الرغم من حصولها على بعض الوظائف المهمة كما حصل لبني مخزوم على وظيفة القبة والاعنة وهي تشابه اليوم وزارة الدفاع ، فان هذه العشائر مارست الضغط على بني هاشم والمطلب وزاد ذلك عنفاً عندما بلغ الرسول (ﷺ) دعوته التوحيدية مما جعل عشائر الاحلاف تشتط في مجابهة الدعوة ورسولها لان نجاحه يعني عودة الدور لبني هاشم والمطلب في حياة مكة السياسية .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

١. ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي : المنمق في اخبار قريش تصحيح ، خورشيد احمد فاروق ، ط١ ، الهند ، ١٩٦٤ .
٢. ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى : نشوة الطرب في تاريخ الجاهلية تحقيق ، نصرت عبد الرحمن ، عمان ،١٣٨٢ هـ .
٣. ابن عبد البر : ابو عمر يوسف بن عبد الله : الاستيعاب في معرفة الاصحاب تحقيق : علي محمد البجاوي ، القاهرة ، د/ت .
٤. الزبيدي ، ابو عبد الله المصعب بن عبد الله ، نسب قريش تحقيق : أليفي بروفنسال ، ط٢ ، مصر ، ١٩٧٦ م .
٥. السمعاني ، ابو سعيد عبد الكريم محمد ، الانساب ، تحقيق عبد الرحمن يحيى ، حيدر اباد الدكن ، ١٩٦٢ م .
٦. ابن جرير الاطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : ابو الفضل ابراهيم ط٢ ، مصر ، د/ت .
٧. ابو محمد عبد الله المحمدي :سيرة النبي ، تحقيق محمد محي الدين بيروت ، د/ت .
٨. ابن سعد : ابو عبد الله محمد ، الطبقات الكبرى ، بيروت .
٩. ابن الاثير : ابو الحسن ، عز الدين ، الكامل في التاريخ بيروت ،١٩٦٠.
١٠. ابن عبد ربه : ابو عمر احمد ، العقد الغريد ، تحقيق احمد امين ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
١١. المسعودي : ابو الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر تصحيح يوسف اسعد ،ط١ ، بيروت ،١٩٦٥ .

المراجع

١. اسماعيل احسان : بنو هاشم في عصر الرسالة ، (رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩١٩م) .
٢. الملاح هاشم وعبد الواحد الرمضاني : ثروات اهل مكة المؤرخ العربي ، العدد ١٦/٤٣ ،١٩٩٠م .
٣. النعيمي ، رياض ؛ بنو مخزوم ودورهم السياسي والحضاري ، رسالة دكتوراه ، كلية الاداب جامعة الموصل ١٩٩٦م .
٤. العلي : صالح احمد : محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ط١ ، دار النشر ،١٩٩١م .
٥. علي ،جواد : تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ١٩٦١ .